بسم الله الرحمن الرحيم

لغة القرآن
(1)

الدكتور
محمد هيثم الخياط

هذه ـ إن شاء الله ـ سلسلة من الأحاديث في لغة القرآن.

والقرآن الكريم هو مرجعنا الأول، ومصدرُ إسلامنا ويَنْبوعُ حضارتنا. ومن أجل ذلك كان علينا أن نوثّق الصلة بهذا الكتاب الحكيم، وأن نتلوه حقّ تلاوته، فنفهم كلماته، ونغوص في أعماقه، ونستخرج من كنوزه جواهرَ لا تَنْفَدُ، كما جاء في الأثر: ((ثَوِّروا القرآن)).

وقد قلت ذات مرَّةٍ في محاضرة لي: إنني لا أكاد أعرف مما قيل في وصف القرآن العظيم أبدع ولا أصدق مما قاله ذلك النفر النبيل من الجن يوم استمعوا إليه: ﴿إنَّا سمعنا قُرآناً عَجَباً﴾.

أرأيتَ لو كنتَ واحداً من أهل مكة يوم أنزل القرآن، تُشاطر أهل هذا البلد أسمارَهم وأساطيرَهم وتقاليدَهم، وأموالاً اقترفوها، وتجارةً يخشون كسادَها، ومساكنَ يرضونها، وثارات يثأرون لها، ومآثر يستمسكون بها، ورحلةَ الشتاء والصيف،... ثم سمعتَ منادياً ينادي للإيمان، فلا يتحدث عن شيء من ذلك كله، ولا عن معاشك ولا عن أعرافك ولا عن عبادتك ولا عن شعائرك.. وإنما يقول لك في أوجز خطاب وأعجبه: ﴿اقرأ﴾ !

أفما كان يفجؤك هذا النداء ويستبد بك العجب؟

﴿اقرأ﴾ ؟ وأنت من أمة أمية لا تكتب ولا تحسب!

﴿اقرأ﴾... ثم يرتفع بك كلمح بالبصر من حضيض هذه الأرض التي أخلدتَ إليها، إلى سدرة المنتهى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خَلَق﴾.. هكذا.. لا ينبئك أن لك رباً خالقاً، وإنما يخاطبك بما هو أمرٌ مفروغ منه منذ زمن بعيد، يوم ﴿أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا!﴾.

ولك أن تتوقَّع بعد ذلك أن تتحدث العبارة التالية لهذه المقدمة الرائعة، عن صلتك بربك الذي خَلَق، وعن كيفية تَبَتُّلك إليه وعبادتك إياه.. ولكن القرآن العَجَب يفجؤك مرة أخرى بأن يقرع سمعك بحقيقة من حقائق علم الجنين: ﴿خَلَق الإنسان من عَلَق﴾.. تهيئةً لنفسك وإعداداً لعقلك أن تعرف ماهية العلم الذي يتحدث القرآن بعد قليل عن أنه العلم الذي علّمه إياك ﴿ربُّك الأكرم الذي علّم بالقلم﴾.

ثم تعود بك الآيات إلى لحظة الخلق الأولى، وهي لحظة مركوزة في فطرتك منحوتة في ذاكرة خلاياك.. لحظةَ علّم الله آدم الأسماء كلها.. فتذكِّرك ـ إن كان الشيطان قد أنساك ـ أن الله هو الذي ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾.

ثم تجول بك الآيات في مجالات شتى، فتذكر لك حقيقة من حقائق علم النفس: ﴿إن الإنسان ليطغى أنْ رآه استغنى﴾.. ثم تَلْفتك إلى أن رُجْعاكَ ومعادك إلى ربك الذي بدأ خَلْقك من عَلَق..

وهكذا في نَسَق عجيب يربط الدنيا بالآخرة، ويُمازج بين آيات الله في الأنفس والآفاق، وبين آياته في العبادة والتقوى، تتواصل آيات السورة إلى نهايتها في نَبَضات مرسومة، كلُّ نبضة منها تهزُّ وتراً من أوتار نفسك التي جُبلَتْ على عمارة الدنيا وعمارة الآخرة، واستعدّت بفطرتها للتبحُّر في كلِّ ما علّم الله الإنسان من علوم الدنيا وعلوم الآخرة.. ((وكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له)).

* * * *

أعود إلى أولئك النفر من قريش الذين استمعوا إلى رسول الله ﷺ يخاطبهم بذلك الخطاب العجيب: ﴿اقرأ !﴾.. كيف كان ردُّهم على تلك السورة التي تجمع علم الجنين إلى علم النفس، وتذكِّر بالرَّبِّ الذي خلق، والذي علَّم، والذي إليه المرجع والمآب، وتحثُّ على السجود الذي يحقِّق غاية الاقتراب..

كان ردُّهم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»! هكذا.. بكل بساطة.. أيقنوا أن هذا الكلام الذي لم يعهدوه ولم يسمعوا بمثله، وهم كانوا سادةَ الكلام وأبلغ البُلَغاء، لا يمكن أن يكون من عند غير الله.. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.. وهم إنما وجدوه متّسقاً كلَّ الاتّساق، منسجماً كلَّ الانسجام، تتساوَق فيه آيات الله في الأنفسُ مع آيات الله في التقوى.. ولم يفرِّقوا في ما علّمه الله بالقلم بين علم شرعي وعلم كوني.. بل لعلّ مما جعلهم يلبّون داعي الله من فورهم، هذا التمازجُ والتضافرُ بين كلمات الله المحدودة في كتاب الله، وبين كلمات الله التي لا حدود لها في الأنفس والآفاق: ﴿ولو أنَّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أبْحُر ما نَفِدَتْ كلماتُ الله﴾.

* * * *

ولقد كانت تلاوة القرآن الكريم هي المهمة الرئيسية التي اضطلع بها النبيﷺ طوال حياته الشريفة بعد مَبْعَثه.

ونحن نعلم أن الله سبحانه قد لخَّص مهامَّ نبيِّه صلوات الله عليه في غيرِ ما آية في ثلاث مهامّ :

﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بَعَثَ فيهم رسولاً من أنفسهم:

(1) يتلو عليهم آياته،
و(2) يزكِّيهم،
و(3) يعلّمهم (3-أ) الكتابَ
و(3-ب) الحكمة﴾ [آل عمران: 164]؛

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم (1) يتلو عليكم آياتنا، و(2) يزكِّيكم، و(3) يعلّمكم: (3-أ) الكتاب، و(3-ب) الحكمة﴾ [البقرة: 151].

﴿بَعَثَ في الأميِّينَ رسولاً منهم: (1) يتلو عليهم آياته، و(2) يزكِّيهم، و(3) يعلّمهم (3-أ) الكتاب و(3-ب) الحكمة﴾ [الجمعة: 2]؛

واستُجيبَتْ بذلك دعوة أبيهم إبراهيم ﷺ: ﴿ربَّنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم: (1) يتلو عليهم آياتك، و(2) يعلِّمهم (2-أ) الكتاب و(2-ب) الحكمة و(3) يزكِّيهم﴾ [البقرة: 129]**.**

ولو شاء الله لأنزل كُتُبَهُ على الناس دونَ ما واسطة، لو كانت غايةُ ما في الأمر أن يصل مضمونُها إلى الناس، ولكنه سبحانه ـ وله الحمدُ والمِنَّة ـ شاء أن يكون تبليغُها على رُسُل لا يقتصر عملهم على تلاوة آيات الله، ولكنهم فوق ذلك يعلِّمون الناس الكتاب، وهو الصُحُف المنزَّلة بحرفيَّتها من عنده، ويعلِّمون الناس الحكمة، وهي الوحي الذي يعبِّرُ عنه الرُّسُل بعباراتهم هم، استكمالاً لتعليم الكتاب وشَرْحاً لتعاليمه، ويُزَكُّون الناس أي يعلِّمونهم الخُلُقَ العظيم بأن يصير كلٌّ من هؤلاء الرُّسُل كتاباً يُعاش، وآياتٍ تنبعث فيها الحياة، وسلوكاً يُقْتَدَى به ويُؤْتَسى ويُؤْتَمّ، وبذلك يكون الرُّسُل شُهَدَاءَ على الناس، لأن الشَّاهد ـ كما نقول اليوم في بحوث ضمان الجودة ـ هو المعيار الذي يُسعَى إلى بلوغه ويُقاس على صفاته، ثم يكون أتباع الرُّسُل شُهَدَاء على سائر البشر، ﴿بما استُحْفِظوا من كتاب الله﴾ من جهة، وبأنهم ﴿كانوا عليه شهداء﴾ [المائدة: 44] **يطبّقونه التطبيق العملي الأمثل من جهة أخرى.**

وما كان محمَّدٌ عليه صلوات الله وسلامه بِدْعاً من الرُّسُل، بل كانت التزكية والتعليم ـ أو كما نقول اليوم التربية والتعليم ـ مَعْلَمَيْن بارزَيْن في كل مناحي حياته الشريفة، وهو لا يَضِنّ بهما على أحد، ولا يستثني من عباد الله أحداً، ولا يقصرهما على فئة معيَّنة أو عمر معيَّن، ولكنه ينتظم بهما حياة المسلمين كلّها منذ طفولتهم، وكثيراً ما نسمع في حديثه صلوات الله وسلامه عليه عبارات تبدأ بقوله: «علِّموا أولادكم» أو بقوله: «يا بُنَيّ»، أو بقوله: «يا غلام»، أو بقوله: «يا معشر الشباب». ثم نسمعه ﷺ يحمِّل أصحابه وسائر المسلمين أمانة القيام بالتعليم فيقول: «علِّموا، ويسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنَفِّروا» [رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد عن ابن عباس]

*

من أجل ذلك أحببت أن نحاول معاً أن نعيش مع هذا الكتاب الكريم لأنها الخطوة الأولى لأن نعيشه في واقع حياتنا، ونطبِّق ما أراد الله سبحانه وتعالى أن نعرفه ونطبِّقه.

ولنقرأ أولاً ما يصف به الله الكتاب وهو أفضل وصفٍ وأصدَقُه:

الله سبحانه وتعالى يقول في الآية الأولى من سورة الحجر: ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾، وفي الآية الأولى من سورة النمل: ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾. فهي آيات الكتاب وهي آيات القرآن، وهو قرآن مبين وهو كتاب مبين، ويعني ذلك أولاً وقبل كل شيء أن القرآن هو الكتاب وأن الكتاب هو القرآن، فلا تَلْتَفِتْ إلى من يريد التفريق بين الكتاب والقرآن.

القرآن من القراءة: ﴿وقرآناً فَرَقناه لتقرأه على الناس﴾ [الإسراء: 106]**، والكتاب من الكتابة، وهذا هو ما بدأ به الوحي في «اقرأ»، وفي «ن والقلم وما يسطرون».**

ثم إن صفة القرآن التي ذكرت هنا هي أنه، ﴿مبين﴾، أي إنه واضح مفهوم للناس: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ [القمر: 32]**. وذلك من أجل أن يتعايش الإنسان معه دون تفسيرات معقَّدة. نَعَمْ، نحتاج أحياناً إلى تفسير بعض الكلمات التي أصبحت غريبة بالنسبة إلينا لأننا ابتعدنا عن عهد القرآن، وبعد هذا نعيش نحن مع هذا القرآن ونتفاعل معه.**

ومن الصفات الأخرى التي ذكرها الله عز وجل لهذا القرآن:

- **أنه كريم: ﴿إنه لقرآنٌ كريم﴾** [الواقعة: 77]
- **وأنه عزيز: ﴿وإنه لَكتابٌ عزيز﴾** [حم السجدة: 3]
- **وأنه حكيم: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾** [يس: 1، 2]
- **وأنه مجيد: ﴿ق والقرآن المجيد﴾** [ق: 1]
- **وأنه عظيم: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآنَ العظيم﴾** [الحِجر: 87]
- **وأنه ﴿كتاب أحكمت آياته﴾** [هود: 1]
- **وأنه ﴿كتاب فُصِّلت آياته﴾** [حم السجدة: 3]

هذه الصفات القرآنية ينبغي أن نحاول تحقيقها في أنفسنا، وأن يكون خُلقُنا القرآن شيئاً فشيئاً. فأقصى ما نطمح إليه أن نقتدي برسول الله ﷺ الذي «كان خُلُقُه القرآن» كما قالت أمُّنا السيدة عائشة رضي الله عنها؛ ومن لم يستطع أن يصل إلى كل ذلك فليصل إلى بعض ذلك، مجرد المحاولة فيها خير كثير وثواب كبير، والله يعين من يسير في الاتجاه الصحيح.

*

كيف نستطيع أن نفهم هذا القرآن الكريم الذي هو نور ينير لنا الطريق، والذي هو واضحٌ مُبين؟

لقد نزل هذا الكتاب الكريم بلسان عربي مبين، وقد وُصف بأنه قرآن عربي [سورة يوسف، طه، الزُمَر، حم السجدة، الشورى، الزخرف]**. وما دام القرآن قد نزل بلسان هذه الأمة، فلا بُدّ حتى نفهم القرآن من أن نتعرَّف على معاني الكلمات كما كان يفهمها العرب يوم نزل القرآن. فلقد قال الله سبحانه وتعالى عنه مخاطباً نبيَّه ﷺ: ﴿فإنما يَسَّرناه بلسانك﴾** [مريم: 97] **ويعني ذلك أمرين:**

أولهما: أن القرآن مُيَسَّر: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر﴾ [القمر: 17]**، وثانيهما: أنه ميسّر للفهم بلسان الرسول الذي كان يتحدث به أي بلغة العرب المتداولة في ذلك الوقت، فكثيرة هي الكلمات التي ابتعد الناس بمعانيها عن المعاني التي نزل بها القرآن، ولذلك كان لابُدّ من العودة إلى معانيها الأصيلة حتى نفهم القرآن حق فهمه، ونتلوَه حقَّ تلاوته.**

*

ومن جملة النقاط التي تنبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، قضية يخطئ فيها الكثيرون في هذه الأيام، وهي قضية الخطاب القرآني. فالقرآن الكريم واللغة العربية عموماً تستخدم نوعين من الخطاب: أحدهما خطاب للإناث وَحْدَهُنّ، والثاني خطاب للذكور والإناث معاً. فلا يوجد في اللغة العربية خطاب للذكور وحدهم. وأكثر ما يطالعنا في القرآن الكريم هو هذا الخطاب المشترك. فقوله عز وجلّ مثلاً: ﴿أقيموا الصلاة﴾، ليس موجَّهاً للرجال وحدهم. ولكن كثيراً من الناس يخطئون ويعطِّلون بعض الآيات المحكمة من القرآن الكريم بسوء الفهم هذا، وهذا أمرٌ تحدَّث عنه كبار الفقهاء منذ القدم.

قال الإمام الخطَّابي [في معالم السنن: 161/1] **معلقاً على حديث «إنما النساء شقائق الرجال»: «إن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاباً للنساء** [كذلك]**، إلا مواضعَ الخصوص التي قامت أدلّةُ التخصيص فيها».**

وقال الإمام ابن القيِّم [في إعلام الموقعين: 92/1]**: "وقد استقرَّ في عُرف الشارع، أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكَّرين إذا أطلقت ولم تقترن بالمؤنث، فإنها تتناول الرجال والنساء".**

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني [في فتح الباري]**: «والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خُصّ». كما نقل قول الكَرْماني: «حكمُ الرجل والمرأة واحد في الأحكام الشرعية».**

ومن قَبْلُ قال الإمام ابنُ حزم [في الإحكام: 80/3]**: «ولا خلاف بين أحد من العرب ولا من حاملي لغتهم، أولهم عن آخرهم، في أن الرجال والنساء، وأن الذكور والإناث، إذا اجتمعوا وخوطبوا أو أُخبر عنهم، أن الخطاب والخبر يردان بلفظ الخطاب والخبر عن الذكور إذا انفردوا، ولا فرق؛ وأن هذا أمرٌ مطَّردٌ أبداً على حالة واحدة. فصحَّ بذلك أنه ليس لخطاب الذكور ـ خاصةً ـ لفظٌ مجرَّدٌ في اللغة العربية غيرُ اللفظ الجامع لهم وللإناث، إلا أن يأتي بيان زائد بأن المرادَ الذكورُ دونَ الإناث. فلما صحَّ ذلك، لم يَجُزْ حملُ الخطاب على بعض ما يقتضيه دون بعض، إلا بنصٍّ أو إجماع، فلما كانت لفظة «افعلوا» والجمعُ بالواو والنون وجمعُ التكسير يقع على الذكور والإناث معاً، وكان رسولُ الله ﷺ مبعوثاً إلى الرجال والنساء بعثاً مستوياً، وكان خطابُ الله تعالى وخطابُ نبيِّه ﷺ للرجال والنساء خطاباً واحداً، لم يَجُزْ أن يُخَصَّ بشيء من ذلك الرجالُ دونَ النساء، إلا بنصٍّ جليٍّ أو إجماع...».**

إلى أن يقول بعد ذكر أزواج النبي ﷺ وعدد من كرائم الصحابيات رضي الله عنهم: «ولا خلاف بين أحد من المسلمين قاطبةً، في أنهن مخاطباتٌ بقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة﴾ [المزمّل: 20]**، و: ﴿مَنْ شهد منكم الشكر فليَصُمْه﴾** [البقرة: 185]**، و: ﴿ذروا ما بقي من الربا﴾** [البقرة: 278]**، و: ﴿الذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم﴾** [النور: 33]**، و: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾** [البقرة: 282]**، و: ﴿لله على الناس حج البيت﴾** [آل عمران: 97]**، و: ﴿أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾**

[البقرة: 199]، **و: ﴿هل أنتم منتهون﴾** [المائدة: 91]، **و: ﴿ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾** [النساء: 6]، **وسائر أوامر القرآن"** [الإحكام: 82/3].

«**قال أبو محمد** [ابن حزم]**: وقد سأل عمرو بن العاص رسولَ الله ﷺ: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ فقال** «**عائشة !**»، **قال: ومن الرجال؟ قال** «**أبوها !**» [رواه مسلم...] **ورسول الله ﷺ أعلمُ الناس باللغة التي بُعث بها، فحمل اللفظ على عمومه في دخول النساء مع الرجال**» [الإحكام: 83/3]. **ثم روى ابن حزم** [بسنده عن مسلم] **عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول:** « **أيها الناس !** »، **فقلت للجارية: استأخري عني؛ قالت: إنما دعا الرجال ولم يَدْعُ النساء؛ فقلت: إني من الناس. ثم ذكرت الحديث. قال علي** [ابن حزم]**:** «**في هذا بيان دخول النساء مع الرجال في الخطاب الوارد بصيغة خطاب الذكور**» [الإحكام: 85/3]. **إلى أن قال:** «**قد تَيَقَّنَّا أن رسول الله ﷺ مبعوثٌ إليهنّ كما هو إلى الرجال، وأن الشريعة التي هي الإسلام لازمةٌ لهن كلزومها للرجال، وأيْقَنَّا أن الخطاب بالعبادات والأحكام متوجهٌ إليهن كتوجُّهه إلى الرجال، إلا ما خصَّهن أو خصَّ الرجال منهن دليل. وكلُّ هذا يوجب أن لا يُفْرَدَ الرجال دونهنّ بشيء قد صحَّ اشتراكُ الجميع فيه إلا بنصٍّ أو إجماع؛ وبالله تعالى التوفيق**» الإحكام: 86/3].

وقد صَدَقَ ابنُ حزم رحمه الله وأحسن إليه، إذ لا يشك أحد في كون الخطاب موجّهاً إلى النساء مثلما هو موجَّه للرجال في قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ [البقرة: 147]، **أو قوله: ﴿أنفقوا في سبيل الله﴾** [البقرة: 194]، **أو قوله: : ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾** [البقرة: 206]، **أو قوله: ﴿أنفقوا مما رزقناكم﴾** [البقرة: 253]، **أو قوله: ﴿أنفقوا من طيّبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾** [البقرة: 266]، **أو قوله: ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾** [البقرة: 282]، **أو قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾** [آل عمران: 102]، **أو قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾** [آل عمران: 104]، **أو قوله: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾** [آل عمران: 133]، **أو قوله: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** [النساء: 29]، **أو قوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾** [المائدة: 1]، **أو قوله: ﴿كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط﴾** [المائدة: 9]، **أو قوله: ﴿اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾** [المائدة: 37]، **أو قوله: ﴿لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم﴾** [المائدة: 89...] **وأمثالُ ذلك في كتاب الله كثير.**

وقُلْ مثل ذلك في قول النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة» [متفق عليه عن أبي موسى]، **أو قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»** [رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك]، **أو قوله: «من نفَّس عن مسلم كُربةً من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة»** [رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة]، **أو قوله: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»** [رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة]، **أو قوله: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»** [متفق عليه عن ابن عمر]، **أو قوله: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس»** [رواه عساكر عن ابن عمر]**... وأمثال ذلك في حديث رسول الله ﷺ كثير.**

*

ونحن كثيراً ما نجتزئ الآيات في وقتنا الحاضر ولا نطبقها على الجنسين، ونزعم مع ذلك أننا ملتزمون بشرع الله. مثال ذلك قول الله عز وجل: ﴿وما عند الله خير وأبقى للّذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون؛ والذين يجتنبون كبائرَ الإثم والفواحشَ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون؛ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون؛ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾.

كل الأحكام كما نرى موجَّهة للرجال والنساء جميعاً، أما ﴿أمرهم شورى بينهم﴾ فإنَّا نحاول أن نقصرها على الرجال فقط وهذا اجتراء على كتاب الله.

والدليل على ذلك عمل الصحابة والراشدين الذين قال النبي ﷺ عنهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ». فعندما استشهد سيدنا عمر بن الخطاب جعل ترشيح الخليفة المقبل إلى ستة من الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. سيدُنا عبد الرحمن بن عوف نزع نفسه من الخلافة، وذهب يستفتي الناس: سألهم جميعاً رجالاً ونساءً حتى البكر في خدرها، وقال في تقريره للصحابة: «وجدتهم لا يعدلون بعثمان أحداً». فهكذا دل إجماع الصحابة على أن الشورى تعمّ الرجال والنساء جميعاً، وهذا دليل على أن الآية لابد أن تفهم كما يفهم الخطاب القرآني كله، فكل ما جاء في القرآن الكريم موجَّه للرجال والنساء معاً، ما لم يرد دليل واضح صريح على خلاف ذلك.

*

خلاصة القول:

(1) **أن حياتنا في هذا القرآن الكريم، لكن المؤسف أن ينطبق علينا ما قاله الرسول ﷺ: «يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً». فيجب أولاً أن نعود لهذا القرآن عوداً حميداً فنتلوَه آناء الليل وأطراف النهار، والإنسان يثاب على قراءة كل حرف من أحرف القرآن حتى الذي يتعتع فيه.**

(2) **هذا القرآن هو قرآن مبين، وحكيم، وعزيز، ومجيد... ونحن نضيع كل هذه الصفات إذا لم نعد لهذا القرآن.**

(3) **ينبغي أن نفهم هذا القرآن فهماً صحيحاً ونذكر دائماً أن الله قد يسر هذا القرآن، للذِّكر.**

(4) **يجب أن نعيش هذا القرآن الذي جاء الرسول ﷺ ليتلوه ويعلم القرآن والحكمة ويزكيه، الإنسان ينبغي أن يغير سلوكه لينسجم مع هذا القرآن.**

*